
مع الصحابة والتابعين
بسم الله الرحمن الرحيم
محمد رسول الله
والذين معه
اشداء على الكفار رحماء بينهم
١
ابو طالب ناصر الرسول
كمال السيد

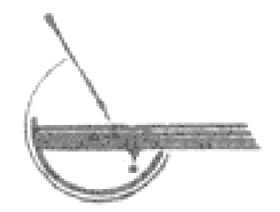
ابو طالب

ناصر الرسول

« ١ »

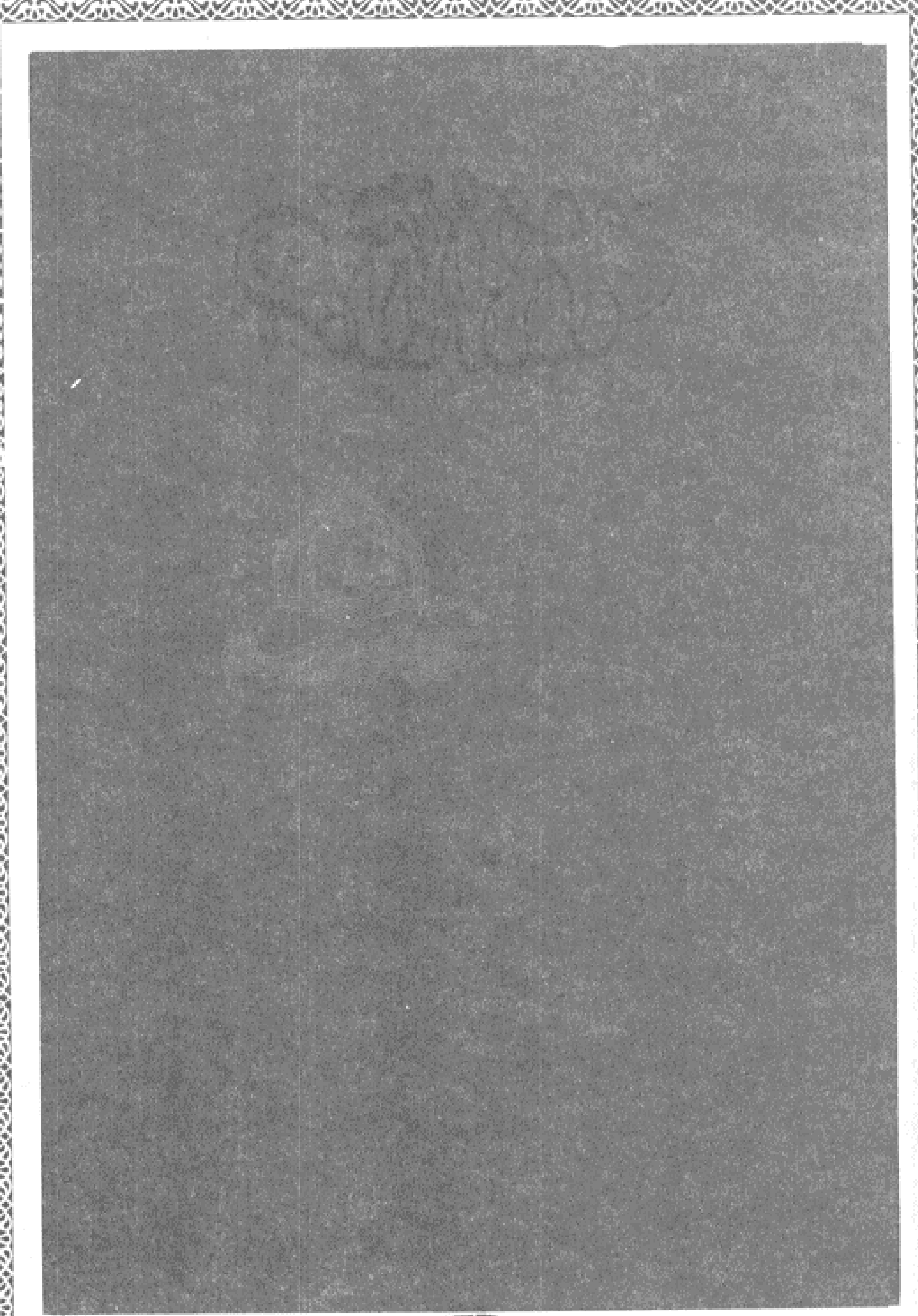
سيد، كمال، ١٣٣٦ـ
أبو طالب ناصر الرسول / المؤلف كمال السيد _ قم : مؤسسة أنصاريان، ١٤٢١ق. = ٢٠٠٠م. = ١٣٧٩.
٣٢ ص.: مصور. - (مع الصحابة والتابعين / كمال السيد؛ [ج] ١)
عربي.
شابك : ٦-١٤١-٤٣٨-٩٦٤ ISBN: 964-438-141-6
١. صحابه - سرگذشتنامه. ٢. أبو طالب بن عبد المطلب، ٩١؟ - ٣ قبل از هجرت - سرگذشتنامه. الف. عنوان. ب. فروست= السيد، كمال. مع الصحابة والتابعين؛ ج. ١.
BP٢٨/٦/م٩س٦ ٢٩٧/٩٤٢

مع الصحابة والتابعين
أبو طالب ناصر الرسول ج ١
المؤلف: كمال السيد
الناشر: مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر - قم
المطبعة: نگين - قم
تاريخ الطبع: الطبعة الثانية ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م
الكمية: ٢٠٠٠
شابك (ج ١): ٦-١٤١-٤٣٨-٩٦٤
شابك الدورة (١-١٤): ٤-١٣٩-٤٣٨-٩٦٤
حجم الغلاف: كبير
عدد الصفحات: ٣٢



مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر
جمهورية إيران الإسلامية
قم - شارع الشهداء - فرع ٢٢
ص. ب. ١٨٧
هاتف: ٧٤١٧٤٤ - ٢٥١ - ٩٨
فاكس: ٧٤٢٦٤٧ - ٢٥١ - ٩٨
البريد الإلكتروني: ansarian@noornet.net


بسم الله الرحمن الرحيم



كلمة الناشر

سبق لمؤسسة انصاريان شرف تقديم سلسلة عن سيرة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا، ولقد حظيت السلسلة باستقبال من فتيان الإسلام ممّا شجّع علىٰ تقديم سلسلة أخرىٰ عن صحابة وقفوا مع النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وكانوا بحق رجالاً صدقوا ما عاهدوا الله عليه .

وهي إذ تقدّم هذه السلسلة الىٰ مكتبة الفتى المسلم انّما تأمل الإقتداء بأولئك الرجال الأفذاذ الذين أسهموا في صنع مجد الإسلام ورفع رايته عالياً، وأضاءوا الطريق للأجيال.

مؤسسة أنصاريان


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

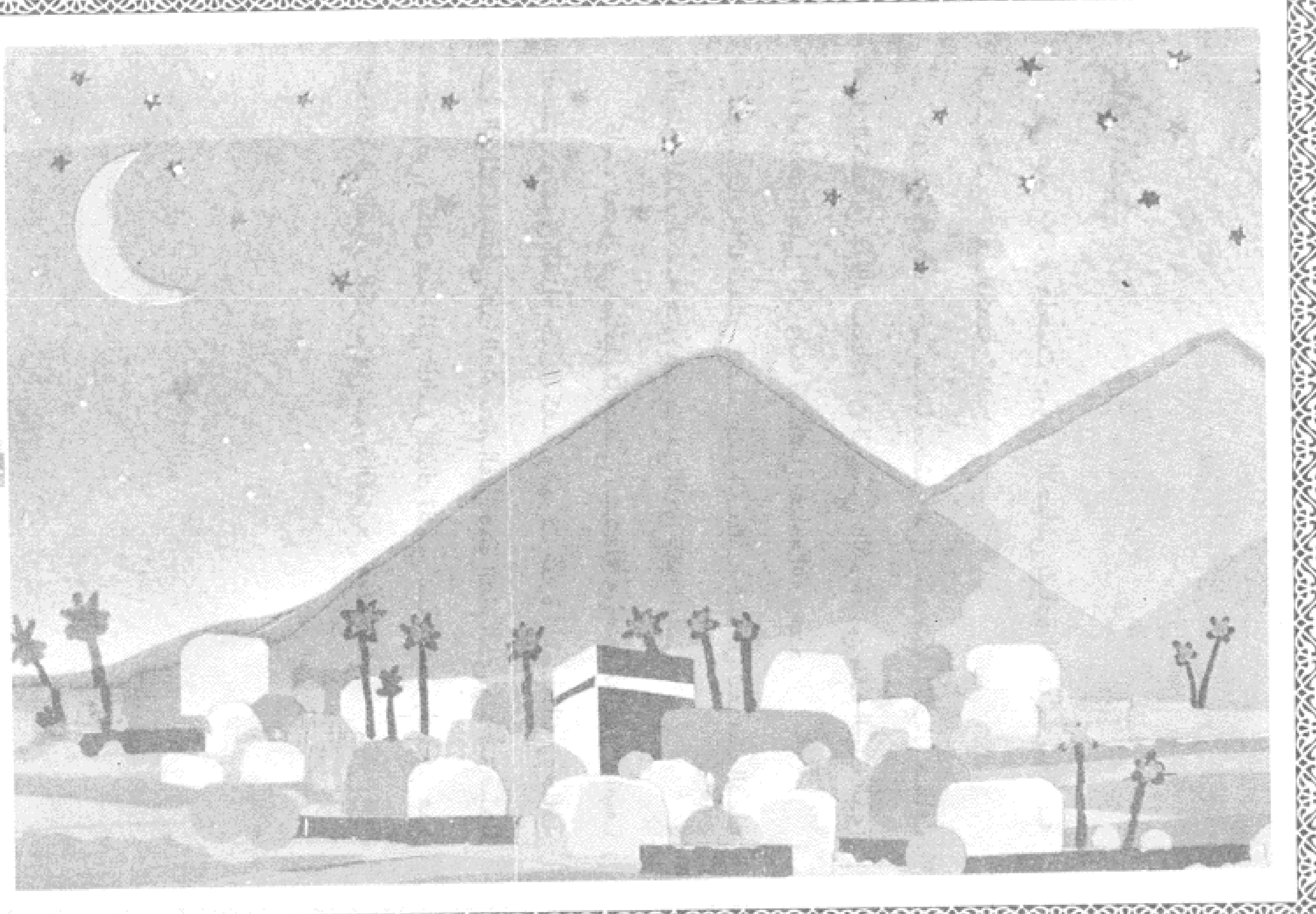
عام الفيل

في عام ٥٧٠ م هاجمت جيوش الأحباش بقيادة ابرهة مدينة مكّة المكرّمة تريد هدم الكعبة.

كان عبد المطلب جدّ سيّدنا محمّد (ص) سيّد مكّة آنذاك، فطاف حول الكعبة ودعا الله سبحانه أن لا يمكّن «الغزاة» من هدم البيت الذي بناه إبراهيم الخليل (ع) وابنه اسماعيل لعبادة الله وحده .

واستجاب الله تعالىٰ دعاء عبد المطلب، فما ان تقدّمت الفيلة والجنود لهدم الكعبة حتىٰ ظهرت في الأفق طيور أبابيل.

كانت تحمل في مناقيرها حصىٰ مشتعلة وراحت الطيور تقصف الجيش، وتمزّق الغزاة حول الكعبة وظهرت قدرة الله سبحانه ووجاهة عبد المطلب؛ وسمّي هذا العام بعام الفيل وهو العام الذي ولد فيه سيّدنا محمّد(ص) وكان عُمر أبي طالب آنذاك ثلاثين سنة؛ وقد ورد ذكر هذه الحادثة في القرآن الكريم في سورة الفيل في قوله تعالىٰ:



بسم الله الرحمن الرحيم

ألم تر كيف فعل ربّك بأصحاب الفيل ؟

ألم يجعل كيدهم في تضليل ؟

وأرسل عليهم طيراً أبابيل

ترميهم بحجارة من سجّيل

فجعلهم كعصفٍ مأكول.

عبد المطلب

كان لعبد المطلب الذي حفر بئر «زمزم» عشرة بنين أحدهم عبدالله وهو أبو النبي، وآخر اسمه «أبو طالب» وهو عمّه.

كان سيّدنا محمّد(ص) يتيماً مات أبوه عبدالله وهو ما يزال جنيناً في بطن أُمه ثم ماتت امّه وكان له من العمر خمس سنين، فكفله جدّه عبد المطلب وكان يحبّه حبّاً كثيراً، ويتوسم فيه النبوّة.

كان عبد المطلب حنيفياً علىٰ دين إبراهيم وإسماعيل، وكان يوصي أولاده بمكارم الأخلاق.

وفي فراش الموت قال لأولاده : «ان من صلبي لنبيّاً، فمن أدركه فليؤمن به» .

ثم التفت الى ولده أبي طالب وهمس في أُذنه :

ـ يا أبا طالب إنّ لمحمّد شأناً عظيماً، فانصره بيدك ولسانك .



الكفيل

كان عمر سيّدنا محمّد(ص) ثمانية أعوام عندما مات جدّه عبد المطلب فانتقل إلىٰ كفالة عمّه أبي طالب.

ومن ذلك الوقت بدأ عهد جديد.

وأبو طالب هو عبد مناف الذي اشتهر بشيخ البطحاء وأُمّه فاطمة بنت عمرو من بني مخزوم .

عاش سيّدنا محمّد في كنف عمّه وكان يجد في أحضانه الدفء والمحبّة، وكانت فاطمة بنت أسد وهي زوجة عمّه هي الأُخرىٰ تغمره بالحبّ والرعاية وتقدّمه علىٰ سائر أولادها، وفي مثل هذه الأُسرة الكريمة نشأ سيّدنا محمّد .

كان حبّ أبي طالب لابن أخيه يزداد مع مرور الأيام لما يراه من أخلاقه الكريمة وأدبه العظيم .

فإذا حضر الطعام مثلاً كان الصبي اليتيم يمدّ يده بأدب ويقول بسم الله فإذا انتهىٰ قال : الحمد لله .

ذات مرّة افتقد «أبو طالب» ابن أخيه محمّد على المائدة فرفع يده عن الطعام وقال: لا آكل حتىٰ يأتي ابني، فإذا حضر ناوله وعاء اللبن ليشرب ثم يشرب سائر الأولاد الواحد بعد الآخر فيرتوون جميعاً، ويعجب العمّ لذلك فيلتفت إلىٰ ابن أخيه ويقول:

- إنّك لمبارك يا محمّد .

البشارة

ويسمع أبو طالب من أهل الكتاب بشارات تتحدّث عن قرب ظهور نبي أظلّ زمانه؛ فيزداد رعاية لابن أخيه ويتوسّم فيه النبوّة، فكان لا يفارقه .

وعندما أراد أبو طالب الذهاب في رحلة تجارية إلى الشام اصطحب معه سيدنا محمّداً وكان عمره آنذاك تسع سنين وفي مدينة بصرى التي تقع على طريق القوافل التجارية كان هناك دير يسكن فيه راهب نصراني اسمه بحيرا، كان هو الآخر يترقّب ظهور نبي جديد قرُب زمانه، وعندما وقعت عيناه على محمّد وجد في صفاته وملامحه ما يبشّر بأنّه النبي الموعود .

وراح الراهب يتأمّل في وجه الصبي المكّي في خشوع وبشارة السيّد المسيح تتردّد في أعماقه.

سأل الراهب عن اسم الصبي فقال أبو طالب: اسمه محمّد.

ويزداد الراهب خشوعاً لهذا الإسم الكريم فيقول لأبي طالب :

- عد إلى مكّة واحذر على ابن أخيك من اليهود فانّه كائن له شأن عظيم.

وعاد أبو طالب إلى مكّة وهو أكثر حبّاً لمحمّد وأكثر حرصاً على

سلامته .

الصبي المبارك

وتمرّ سنوات، وأصاب القحط مكّة وماحولها من القرىٰ، وجاء الناس إلىٰ شيخ البطحاء يطلبون منه «الإستسقاء» .

ـ يا أبا طالب، أقحط الوادي وأجدب العيال، فهلّم فاستسق لنا.
وعندما خرج أبو طالب كان أمله بالله سبحانه كبيراً ولكنّه لم ينس أن يأخذ معه ابن أخيه محمّدا.

وقف أبو طالب إلىٰ جانب الكعبة ومعه محمّد، كان قلب الصبي يتدفق رحمة للناس، ودعا أبو طالب إله إبراهيم وإسماعيل أن يرسل المطر مدراراً.

ونظر محمّد إلىٰ السماء، ومرّ وقت، وامتلأت السماء بالسحاب واشتعلت البروق ودوّىٰ الرعد وانهمر المطر غزيراً وسالت الأودية .

وعاد الناس فرحين يشكرون الله على نعمة المطر والخصب، وعاد أبو طالب وهو أكثر حبّاً لابن أخيه .

وتمرّ الأعوام ويبلغ محمّد سنّ الشباب فإذا هو مثال عظيم لكلّ الأخلاق الإنسانية حتىٰ عرف بالصادق الأمين .

كان أبو طالب لا يكره شيئاً مثلما يكره الظلم، ولا يحبّ أحداً مثلما يحبّ المظلومين ؛

لهذا كان سيّدنا محمّد يحبّ أبا طالب.

ذات مرّة وقعت الحرب بين قبيلة «كنانة» وقبيلة «قيس» وكانت قبيلة قيس هي المعتدية .

جاء رجال من قبيلة كنانة وقالوا لأبي طالب :

ـ يابن مطعم الطير وساقي الحجيج : لا تغب عنّا فإنّا نرىٰ بحضورك الغلبة والظفر.

فأجابهم أبو طالب :

ـ اذا اجتنبتم الظلم والعدوان والقطيعة والبهتان فإني لا أغيب عنكم فعاهدوه علىٰ ذلك .

ووقف سيّدنا محمّد(ص) إلىٰ جانب عمّه مع كنانة وكان النصر لهم .

وكان بعض أهل مكّة يعتدون علىٰ حجّاج بيت الله، فقد جاء رجل من قبيلة خثعم مع ابنته لحجّ بيت الله، فقام شاب من أهل مكّة وأخذ

الفتاة بالقوّة.

فصاح الرجل الخثعمي : مَن ينصرني ؟

فأجابه بعضهم : عليك بحلف الفضول .

وانطلق الرجل إلىٰ أبي طالب .

وحلف الفضول تبنّاه أبو طالب، وهو عهد بين رجال من أهل مكّة اتفقوا فيه علىٰ نصرة المظلوم والانتصاف من الظالم.

وعندما توجّه الخثعمي اليهم طالباً العون، هبّ رجال مسلّحون إلىٰ بيت ذلك الشاب وهددوه، وأعادوا الفتاة إلىٰ أبيها، وكان سيّدنا محمّد من ضمن أعضاء الحلف .

الزواج السعيد

كان أبو طالب كثير العيال وينفق علىٰ المحتاجين، فأصبح في ضائقة. وشعر سيّدنا محمّد بأن عليه أن ينهض بواجبه، خاصّة وقد عرضت عليه خديجة ـ وكانت امرأة ثريّة ـ أن يذهب في تجارتها إلىٰ الشام .

وكانت الرحلة ناجحة تجارياً. وأدّىٰ سيّدنا محمّد الأمانة إلىٰ أهلها ممّا جعل خديجة تفكّر في أمره؛ فعرضت عليه الزواج .

وقد استبشر أبو طالب بهذا الزواج وذهب بنفسه يخطب خديجة من أهلها؛ وكان معه رجال من بني هاشم فيهم الحمزة بن عبد المطلب

عمّ سيّدنا محمّد.

قال أبو طالب : «الحمد لله الذي جعلنا من زرع إبراهيم وذريّة إسماعيل، وجعل لنا بيتاً محجوباً وحرماً آمناً، وبارك لنا في بلدنا.

وان ابن أخي محمّد بن عبدالله لا يوازن برجل من قريش إلّا رجح عليه ولا يُقاس بأحد إلّا كان أعظم منه، وان كان في المال قل، فإن المال رزق حائل وظلّ زائل، وله في خديجة رغبة، ولها فيه رغبة. وصداق ما سألتموه من مالي. وله والله نبأ عظيم».

وتم الزواج المبارك .

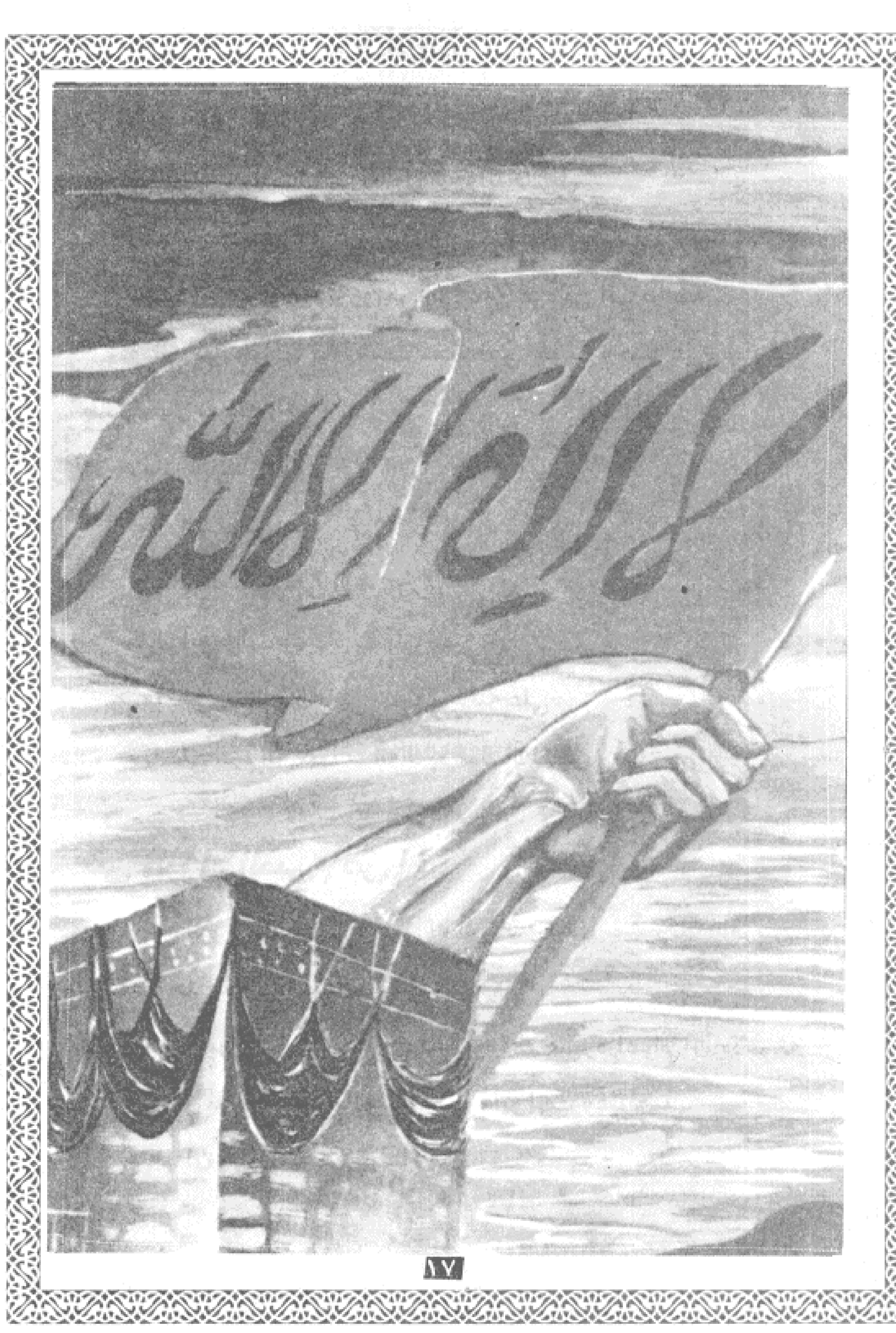
وتمرّ الأعوام، ويرزق الله أبا طالب وليداً جديداً هو عليّ.

وأراد سيّدنا محمّد أن يخفّف الأعباء عن عمّه، فينطلق إلى منزل عمّه ويأخذ عليّاً إلى بيته .

جبريل

وتمرّ الأعوام ويبلغ أبو طالب من العمر سبعين سنة، وكان عمر سيّدنا محمّد أربعين عاماً؛ وكان يذهب إلى غار حراء كعادته كلّ عام. وفي ذلك العام هبط الوحي من السماء وسمع سيّدنا محمّد هاتفاً يقول له:

ـ اقرأ! اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربّك الأكرم، الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم...



ثم قال : يا محمّد! أنت رسول الله وأنا جبريل .

وعاد محمّد من غار حراء يحمل معه رسالة السماء .

فآمنت خديجة زوجته، وآمن ابن عمّه علي بن أبي طالب .

وذات يوم وعندما كان سيّدنا محمّد(ص) يصلّي وخلفه علي، جاء أبو طالب فقال بعطف :

ـ ماذا تصنعان يابن أخي ؟

فقال النبي(ص) :

ـ نصلّي لله على دين الإسلام .

فقال أبو طالب وعيناه تشعّان

ـ ما بالذي تصنعان بأس. ثم قال لابنه علي :

ـ يا علي الزم ابن عمّك.. انّه لا يدعوك إلّا لخير.

في منزل النبي (ص)

وبعد مدّة هبط جبريل يحمل له أمر الله «وانذر عشيرتك الأقربين. واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين» .

وأمر رسول الله عليّاً وكان عمره يومذاك عشرة أعوام أن يدعو له عشيرته أي بني هاشم، وجاء أبو طالب وأبو لهب وغيرهما.

وبعد أن تناول الجميع الطعام قال سيّدنا محمّد :

ـ ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بمثل ما جئتكم به. لقد جئتكم بخير الدنيا والآخرة ..

ثم عرض عليهم دين الإسلام .

نهض أبو لهب وقال بحقد :

ـ لقد سحركم محمّد .

فقال أبو طالب بغضب :

ـ اسكت ما أنت وهذا .

والتفت إلى سيّدنا محمّد وقال :

ـ قم وتكلّم بما تحبّ وبلِّغ رسالة ربّك فأنت الصادق الأمين.

وعندها نهض سيّدنا محمّد وقال :

ـ لقد أمرني ربي أن أدعوكم إليه فأيّكم يؤازرني (ينصرني) علىٰ هذا الأمر فيكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم بعدي.

فسكت الجميع .

فاندفع علي يقول بحماس الشباب :

ـ أنا يا رسول الله .

وفرح النبي وعانق ابن عمّه الصغير وهو يبكي .

نهض بنو هاشم وكان أبو لهب يقهقه ساخراً ويقول لأبي طالب :

ـ لقد أمرك محمّد أن تسمع لابنك وتطيع .

ولكن أبا طالب لم يكترث له بل نظر اليه غاضباً.

وخاطب ابن أخيه بعطف :

ـ امض لما أمرت به، فوالله لا أزال أحوطك وأمنعك.

وينظر سيّدنا محمّد إلى عمّه بتقدير فهو يشعر بالقوّة مادام سيّد مكّة إلىٰ جانبه.

الناصر

وبالرغم من ضعف الشيخوخة فقد وقف أبو طالب بقوّة يدافع عن رسالة محمّد، وكان في الخط الأول في الصراع مع مشركي قريش .

ويدخل عدد كبير من أهل مكّة في دين الله ضاربين عرض الجدار عبادة الأوثان والأصنام وتهديدات جبابرة قريش .

وذات يوم جاء زعماء المشركين إلىٰ أبي طالب وكان طريح الفراش وقالوا بغيظ:

ـ يا أبا طالب ! اكفف عنّا ابن أخيك، فانّه قد سفّه أحلامنا وسبّ آلهتنا.

ويحزن أبو طالب من أجل قومه لأنّهم لا يريدون الإصغاء إلىٰ صوت الحقّ: فقال لهم:

ـ امهلوني حتىٰ أُكلّمه .

وأخبر أبو طالب سيّدنا محمّدا بما قاله زعماء قريش، فقال النبي(ص) باحترام:

ـ يا عم! لا أستطيع أن أعصي أمر ربّي .

فقال أبو جهل وهو أكثرهم حقداً :

ـ سوف نعطيه كلّ ما يريد من الأموال بل نجعله ملكاً علينا إذا شاء .

فقال النبي(ص) أنا لا أُريد شيئاً سوىٰ كلمة واحدة .

فقال أبو جهل : ماهي؟ لنعطيكها وعشراً من أمثالها .

فقال سيّدنا محمّد :

ـ قولوا لا إله إلّا الله .

فانفجر أبو جهل غيظاً .

ـ اسأل غيرها .

فقال رسول الله (ص) :

ـ لو جئتموني بالشمس حتىٰ تضعوها في يدي ما سألتكم غير هذا.

وساد التوتر، ونهض المشركون وهم يتوعدون سيّدنا محمّداً ويهدّدونه، فقال أبو طالب لسيّدنا محمّد:

ـ أبقِ علىٰ نفسك ولا تحمّلني من الأمر ما لا أُطيق.

أجاب النبي وقد دمعت عيناه :

ـ يا عماه والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري علىٰ

أن أترك هذا الأمر ما تركته حتىٰ يظهره الله أو أهلك دونه .

نهض النبي(ص) وهو يمسح دموعه، فناداه أبو طالب برقّة وقال :

ـ ادن مني ياابن أخي .

فدنا سيّدنا محمّد منه، فقبّله عمّه وقال:

ـ اذهب يابن أخي وقل ما تشاء، فوالله لا أُسلمك لشيء أبداً .

ثم راح ينشد متحدّياً جبروت قريش .

ـ والله لن يـصلوا إليك بـجمعهم

حتى أوسد فـي التراب دفـينا

نور الاسلام

ومضىٰ سيّدنا محمّد يبشّر بالدين الجديد ليخرج الناس من الظلمات إلى النور.

ومرّة أُخرىٰ جاء جبابرة قريش إلى أبي طالب وخـاطبوه بـاسلوب آخر قائلين :

ـ يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد (أخو خالد بن الوليد) أنهد فتىٰ في قريش وأجمله فخذه اليك وسلّمنا محمّداً لنقتله .

وأسف أبو طـالب لقـومه وهـم يـفكّرون بـهذه الطـريقة فأجـابهم مستنكراً:

ـ أتعطوني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني لتقتلوه.. هذا والله لا يكون أبداً.. أرأيتم ناقة تحنّ إلى غير ولدها ؟!

واشتد أذى المشركين وراحوا يعذبون المسلمين، وخشي أبو طالب أن يمتد أذاهم إلى سيّدنا محمّد، فاستدعى بني هاشم، ودعاهم إلى حماية النبي(ص) والمحافظة عليه، فاستجابوا له ماعدا أبي لهب .

وسمع أبو طالب بأن أبا جهل وغيره من المشركين يحاولون قتل سيّدنا محمّد فمضى يبحث عنه؛ وكان معه جعفر ابنه وانطلق إلى تلال مكّة وراح يبحث عنه هنا وهناك، فوجده يصلّي لله وعليّ إلى يمينه، وكان منظر سيّدنا محمّد وحيداً وليس معه أحد سوى عليّ يبعث على الحزن، فأراد أبو طالب أن يشدّ من عضد ابن أخيه فالتفت إلى ابنه جعفر وقال :

ـ صل جناح ابن عمّك .

أي صلّ إلى يساره ليشعر بالعزم والقوّة والثقة أكثر.

ووقف جعفر يصلّي مع سيّدنا محمّد وأخيه علي لله خالق السموات والأرض ربّ العالمين .

ومرّة أُخرى افتقد أبو طالب سيّدنا محمّداً وانتظر عودته فلم يعد، فراح يبحث عنه. وذهب إلى الأمكنة التي يتردّد اليها سيّدنا محمّد فلم يجده.

فعاد وجمع شباب بني هاشم وقال لهم :

ـ ليأخذ كلّ واحد منكم حديدة صارمة واتبعوني فإذا دخلت المسجد فليجلس كلّ واحد منكم إلىٰ جانب زعيم من زعمائهم وليقتله إذا تبيّن ان محمّداً قد قتل.

وامتثل شبّان بني هاشم وترصّد كلّ منهم أحد المشركين .

وجلس أبو طالب ينتظر؛ وفي الأثناء جاء زيد بن حارثة وأخبره بسلامة النبي.

وهنا أعلن أبو طالب عن خطّته إذا تعرّض أحدهم إلىٰ حياة النبي بسوء.

وشعر المشركون بالذلّ، وأطرق أبو جهل برأسه وقد اصفرّ وجهه خوفاً .

وكان بعض المشركين يحرّضون صبيانهم وعبيدهم علىٰ إيذاء سيّدنا محمّد.

وذات يوم كان النبي(ص) يصلّي فجاء غلام وألقىٰ القاذورات علىٰ كتفيه وهو ساجد؛ وراح المشركون يقهقهون.

شعر سيّدنا محمّد بالألم يعتصر قلبه فذهب إلىٰ عمّه شاكياً، وغضب أبو طالب، فاخترط سيفه وجاء إليهم وأمر أبو طالب غلامه أن يأخذ تلك الأوساخ ويلطّخ بها وجوههم الواحد بعد الآخر.

فقالوا : حسبك هذا يا أبا طالب .

الحصار

ولمّا رأىٰ المشركون ان أبا طالب لن يتخلّىٰ عن سيّدنا محمّد وانّه يتفانىٰ في الدفاع عنه وحمايته، قرّروا إعلان الحصار الإقتصادي والإجتماعي علىٰ بني هاشم وقطع جميع العلاقات معهم .

وقّع أربعون من زعماء مكّة صحيفة المقاطعة وعلّقوها في داخل الكعبة، وكان ذلك فيشهر محرّم في السنة السابعة بعد البعثة النبوية الشريفة .

كانت قريش تتوقّع استسلام أبي طالب ولكن شيخ البطحاء كان له موقف آخر.

قاد أبو طالب قبيلته إلىٰ وادٍ بين جبلين، وذلك لحماية سيّدنا محمّد من الاغتيال.

راح أبو طالب يتفقد «الشِعب» أي الوادي ويسدّ الثغور التي قد يتسلّل منها الأعداء ليلاً لقتل سيّدنا محمّد .

وبالرغم من شيخوخته فقد كان يتناوب مع أخيه الحمزة وبعض رجال بني هاشم حراسة النبيّ ليلاً، وكان ينقل فراشه من مكان إلىٰ آخر، فقد يترصّد الأعداء في النهار مكان النبيّ ثم يتسللون في الليل لقتله.

وتمرّ الأيام والشهور ويقاسي المحاصَرون آلام الجوع والحرمان في

عزلة تامة، فإذا جاء موسم الحجّ خرجوا ليشتروا ما يلزمهم من غذاء وكساء.

وكان جبابرة قريش وهم أثرياء مكّة يشترون كلّ ما بوسعهم من الطعام حتىٰ لا يبقىٰ في الأسواق منه شيء يشتريه المحاصرون.

وخلال تلك المدّة المريرة، كان أبو طالب كالجبل لا يلين ولا يتراجع عن الوقوف إلىٰ جانب سيّدنا محمّد، فكان مثال المؤمن الصلب الثابت الجنان، وطالما سمعه الناس يردد أشعاراً كثيرة منها:

نصرتُ الرسولَ رسولَ المليك ببيضٍ تلألأ كلمع البروق
أذبُّ وأحمي رسول الإلٰه حماية حامٍ عليه شفيق

وقال مرّة مستنكراً موقف قريش :

ألم تعلموا أنّا وجدنا محمّداً رسولاً كموسىٰ خُطّ في أوّل الكتب
وأنّ عليه في العباد محبّة ولا حيف فيمن خصّه الله في الحبِّ

كان أبو طالب يحبّ سيّدنا محمّداً، يحبّه أكثر من أولاده، وكان ينظر إليه أحياناً ويبكي ويقول: اذا رأيته ذكرت أخي عبدالله.

وذات ليلة جاء أبو طالب وأيقظ سيّدنا محمّداً من نومه، وقال لابنه علي :

ـ نم في فراشه يا بني .

كان عُمر علي آنذاك ثمانية عشر عاماً .

قال علي وقد أراد أن يعرف أبوه تضحيته بنفسه :

- سوف أُقتل إذن .

فقال الأب :

- اصبر من أجل فداء الحبيب وابن الحبيب .

فقال عليّ بحماس :

- أنا لا أخاف الموت وانما أردت أن تعرف نصرتي.

ربت أبو طالب علىٰ كتف ابنه بحب ومضىٰ مع سيّدنا محمّد إلى مكان آمن لينام فيه.

وعندما رقد سيّدنا محمّد في الفراش، راح أبو طالب وتمدّد في فراشه ليغمض عينيه هانئاً وقلبه ينبض ايماناً .

ومضت الشهور تلو الشهور والمحاصرون يزدادون جوعاً وصبراً حتىٰ راحوا يقتاتون علىٰ ورق الأشجار، وكان منظر الأطفال الجياع يحزّ في نفس النبي.

البشرىٰ

وذات يوم جاء سيّدنا محمّد إلىٰ عمّه والفرحة تغمر وجهه المضيئ وقال:

- ياعم .. إنّ ربي قد سلّط «الإرضة» علىٰ صحيفة قريش فلم تدَعْ

شيئاً إلّا اسم الله.

فقال أبو طالب مستبشراً :

ـ أربّك أخبرك بهذا ؟!

ـ نعم .

ونهض أبو طالب علىٰ الفور وقلبه مملوء بالايمان، وانطلق إلىٰ الكعبة حيث يجلس زعماء قريش في «دار الندوة».

هتف أبو طالب بالجالسين :

ـ يامعشر قريش .

ونهض الجالسون إجلالاً لشيخ مهيب الطلعة وتطلّعوا إلى ما سيقوله فلعلّه جاء ليعلن تراجعه وهزيمته أمام الحصار، ولكن شيخ البطحاء قال:

ـ يا معشر قريش : ان ابن أخي محمّد قد أخبرني بأن الله قد سلّط علىٰ صحيفتكم الإرضة فمحت منها كلّ شيء إلّا اسمه فان كان صادقاً فانتهوا عن قطيعتنا وحصارنا.

قال أبو جهل :

ـ وإن كان كاذباً ؟

أجاب أبو طالب بثقة وايمان .

ـ أُسلّمكم ابن أخي .

هتف زعماء قريش :

ـ رضينا ولك منّا العهد والميثاق .

وفُتح باب الكعبة ليجدوا الإرضة قد أكلت كلّ شيء إلّا «بسم‌الله».

وخرج المحاصرون من «شِعب أبي طالب» وراح سيّدنا محمّد والذين آمنوا معه يبشّرون بنور الإسلام الوافدين لزيارة بيت الله الحرام.

الرحيل

تخطىٰ أبو طالب الثمانين من عمره فشعر بالضعف الشديد وسقط في فراش المرض، وكان لا يفكّر بشيء سوى سيّدنا محمّد، وكان يدرك أنّه إذا مات فانّ قريشاً لن تهاب أحداً بعده وسوف تقتل ابن أخيه .

وجاء زعماء قريش لعيادة شيخ البطحاء وقالوا :

ـ يا أبا طالب أنت شيخنا وسيّدنا، وقد حضرك الموت فضع حدّاً للخصام بيننا وبين ابن أخيك.. وقل له أن يكفّ عنّا لنكفّ عنه، ويدعنا ودينا وندعه ودينه.

نظر أبو طالب إلىٰ أبي جهل وإلىٰ أبي سفيان وغيرهما من زعماء قريش وقال لهم بصوت واهن:

ـ لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمّد واتبعتم أمره، فأطيعوه تنالوا السعادة في دنياكم وآخرتكم .

ونهض المشركون وقال أبو جهل بحقد :

ـ أتُريد أن نجعل الآلهة إلهاً واحداً ؟!

وشعر أبو طالب بالحزن لموقف قريش، وكان يحسّ بالقلق علىٰ مصير سيّدنا محمّد، فدعىٰ بني هاشم وأمرهم بنصرة سيّدنا محمّد حتىٰ لو كلّفهم ذلك حياتهم، فامتثلوا جميعاً .

وعندها أغمض أبو طالب عينيه ليموت مطمئن البال .

وسكت شيخ البطحاء، أصبح جثّة هامدة لا حراك فيها؛ وانخرط ابنه عليّ في بكاءٍ مرير ؛ وانبعثت صرخات الحزن في أرجاء مكّة، وفرح المشركون وقال أبو جهل بغيظ :

ـ آن الأوان للإنتقام من محمّد .

وجاء سيّدنا محمّد من أجل أن يودّعه الوداع الأخير .

قبّل جبينه المضيء وتمتم بحزن :

ـ رحمك الله يا عم! ربّيتني صغيراً وكفلتني يتيماً ونصرتني كبيراً فجزاك الله عني وعن الإسلام خير جزاء العاملين المجاهدين.

ثم بكىٰ وانهمرت دموعه، وراح يتذكّر أيام طفولته في ظلال عمّه الوارفة يوم كان صبياً وأراد عمّه الرحيل في تجارة إلىٰ الشام، فركض وراء عمّه وأخذ بزمام ناقته وقال باكياً :

ـ إلىٰ مَن تكلني ولا أب لي ولا أُم ألجأ اليهما ؟

وتذكّر بكاء عمّه وهو يقول له :

- والله لا أكلك إلىٰ غيري .

ثم مدّ يده اليه واحتضنه وراح يقبّله ويشمّه. وانطلقت بهما الناقة في رمال الصحراء.

تذكّر سيّدنا محمّد كلّ تلك الأيام بحلاوتها ومرارتها فقبّل جبين عمّه المضيء، وعانق ابن عمّه علي وراحا يبكيان معاً.

عام الحزن

وتمرّ أسابيع معدودة. وتوفيت خديجة زوجة سيّدنا محمّد، فسمّىٰ ذلك العام «عام الحزن» ، وراحت قريش تصب عذابها علىٰ سيّدنا محمّد والذين آمنوا معه.

وذات يوم جاء سيّدنا محمّد إلىٰ منزله وقد ألقىٰ السفهاء التراب علىٰ رأسه، وراحت ابنته فاطمة تبكي وهي تغسل عنه التراب؛ فمسح علىٰ رأسها وقال:

- لا تبكي يا ابنتي فإنّ الله مانع أباك وناصره علىٰ أعداء دينه ورسالته. وجاء جبريل بأمر السماء قائلاً :

- يا محمّد اخرج من مكّة فقد مات ناصرك .

ولمّا تآمرت قريش علىٰ قتل سيّدنا محمّد، جاء فتىٰ أبي‌طالب علي هذه المرّة لينام في فراشه أيضاً ويفدي سيّدنا محمّداً بروحه.

فعليّ هو ابن أبي طالب شيخ البطحاء .

فيما انطلق سيّدنا محمّد باتجاه يثرب المدينة المنوّرة، وهناك انبثق نور الإسلام ليضيء العالم .

واليوم وعندما يتوجّه المسلمون كلّ عام لزيارة بيت الله الحرام فانّهم يتذكّرون مواقف شيخ البطحاء وهو يدافع عن دين الله ورسالته .

